(١٧) خطبة له ﷺ في التنفير من الدنيا

خطب النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال :

« أيُّها النَّاس .. إنَّ هذه الدَّار دارُ الْتوَاء ، لا دارُ اسْتِواء ، ومنزلُ تَرَح لا منزلُ فَرَح . فمنْ عرفَها لم يفرحْ لرَخَاء ، ولمْ يحزنْ لشَقَاء ، ألاَ وإنَّ اللهَ تَعالى خلقَ الدُّنيا دارَ بَلْوَى ، والآخرةَ دارَ عُقْبَى ، فجعلَ بَلْوَى الدُّنيا لثوابِ الآخرةِ سَبباً ، وثوابَ الآخرةِ مِنْ بَلْوَى الدُّنيا عِوَضاً، فيأخذُ ليُعطى، ويَبتلى ليَجزى . إنَّها لَسريعةُ الذهابِ وشيكةُ الانقلابِ ، فاحْذَروا حلاوةَ رضَاعِها لِمَرارةِ فطامِها ، واحْذَروا لذيذَ عاجِلها لكريهِ آجِلها ، ولا تَسْعَوا فى تعميرِ دارٍ قَدْ قَضَى اللهُ خَرابَها، ولا تُواصِلوها ـ فقد أرادَ اللهُ منكم اجْتِنَابَها ـ فتكونوا لسخطهِ متعرِّضين ، ولعقوبتهِ مستحِقِّين ».

(ذكره فى الكشكول)

فى هذه الخطبة ـ كما قرأنا ـ يعود الرسول ﷺ إلى الحديث عن الدنيا محقِّراً من شأنها ومزهِّداً فيها ؛ حتى لا يُشْغَلَ الناسُ بها عن الآخرة التى هى دار القرار .

وفى القرآن الكريم، يقول تبارك تعالى:

﴿ **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ** ﴾(١).

ويقول تعالى: ﴿ **وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾(٢).

وفى الحديث الشريف: عن ابن عمر ﷺ، قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى، فقال:

« **كُنْ فى الدُّنيا كأنكَ غريبٌ أو عابرُ سَبيل** ».

وكان ابن عمر ﷺ، يقول:

«**إذا أمسيتَ فلا تنتظرِ الصَّباح، وإذا أصبحتَ فلا تنتظرِ المسَاء، وخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرضِكَ، ومِنْ حياتِكَ لموتِكَ**».

(رواه البخارى)

وقد قالوا فى شرح المعنى المراد من هذا الحديث(٣): لا تركن إلى الدنيا ولا تتخذها وطناً، ولا تحدِّث نفسك بطول البقاء فيها، ولا بالاعتناء بها، ولا تتعلق منها إلا بما يتعلق به الغريب فى غير وطنه، ولا تشتغل بما لا يشتغل به الغريب الذى يريد الذهاب إلى أهله.

---

(١) سورة الكهف: ٤٥.

(٢) سورة الحديد: ٢٠.

(٣) كما جاء فى كتاب «رياض الصالحين» فى باب: الزهد فى الدنيا.

و هذا هو المراد من خطبة الرسول ﷺ . . والله أعلم .

* ولله دَرُّ من قال :

لا دارَ للمرءِ بعدَ الموتِ يَسْكُنها ... إلا التى كانَ قبلَ الموتِ يبنيهَا

فإنْ بناها بخَيْرٍ طابَ مَسْكَنُهُ ... وإنْ بناها بشرٍّ خابَ بانيهَا

النفسُ ترغبُ فى الدُّنيا وقد عَلِمتْ ... أنَّ الزهادةَ تركُ مَا فِيهَا

فاغرسْ أُصُولَ التُّقَى ما دمتَ مُجتهداً ... واعلمْ بأنكَ بعدَ الموتِ لاقِيهَا

* * *